# القصديَّة في الأفعال
## – قصص القرآن أنموذجًا –

**الكلمات المفتاحية : قصد ، أفعال ، قصص**

**البحثُ مستلٌّ من أطروحة دكتوراه**

**م٠م٠صادق بريسم كَيطان** **م٠م٠د٠نصيف جاسم محمد الخفاجي**

**المديرية العامة لتربية ديالى** **جامعة ديالى/كلية التربية للعلوم الانسانية**

***Sadiqbresam@gmail.com*** ***Dr.nsaifalkhfagi@gmail.com***

**الملخص**

يتناول هذا البحث الموسوم بـ( القصديَّة في الأفعال ) معيار القصديَّة بوصفه واحدًا من أهم المعايير السبعة التي تحقِّق النصيَّة في الخطاب في الدراسات اللسانيَّة الحديثة ، لذا فقد حظي بعناية اللغويِّين العرب والغربيِّين على حدٍّ سواء ، فبحثوا نوعَ العلاقة بين ما يقصدُه المُتكلِّم وما تعنيه الكلماتُ التي يستعملُها ؛ لِمَا للقصد من أثرٍ بليغٍ في تفسير النصوص .

وقد تضمَّن البحث التعريف بأهمِّيَّة القصدية في لسانيات النصِّ وأهمِّيَّة المفردات ــ وخاصَّة الأفعال منها ــ في الدراسات اللغويَّة المختلفة ، فضلًا عن تبيين أبرز ملامح القصديَّة المتحقِّقة من خلال استعمال الأفعال في قصص القرآن الكريم ، و ما تؤديه اللفظة من معانيَ ودلالاتٍ إضافيةٍ فضلًا عن معناها الأساسي ؛ إذ إنَّ لكلِّ لفظةٍ قرآنيةٍ إيحاءً دقيقًا يجعلها تتماز عمَّا سواها من الألفاظ ، وهنا يكمن إعجازُ القرآن الكريم .

## المقدِّمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، والصلاةُ والسلامُ على رسوله الأمين ، وعلى آله الطيِّبين الطاهرين ، وصحبه المنتجبين .

أمَّا بعد :

فإنَّ هذا البحث ينطلقُ من كتاب الله العزيز الذي نزل ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِيْنٍ ﴾ لدراسة واحدٍ من أهمِّ المعايير النصيَّة وهو معيارُ ( القصديَّة ) . وقد استهوت المعاييرُ النصيَّة ــ بشكلٍ عامٍّ ــ الكتَّابَ والباحثين فأولوها عنايةً كبيرةً ، وألَّفوا فيها الكتبَ والبُحوثَ المختلفةَ ؛ نظرًا لأهمِّيَّتها في الدرس اللسانيِّ الحديث .

ومن خلال الاطِّلاع على كتاب الله العزيز وجدنا فيه جوانبَ عديدةً ومختلفةً من المقاصد الربَّانية الجديرة بالبحث والدراسة ، ومنها القصدية في المفردات ( الأفعال والأسماء ) ، وقد وقع الاختيار على الأفعال فكان عنوانُ البحث ( القصديَّة في الأفعال ــ قصص القرآن أنموذجًا ــ ) ؛ لأنَّ القرآن الكريم يزخر بالقصص القرآنية التي تتماز بغناها بالشواهد الزاخرة بالمقاصد .

وما دفعنا إلى اختيار هذا الموضوع سببانِ : أولهما : أنَّ القصديَّة في القرآن الكريم لم تنل حظَّها من البحث والدراسة كما ينبغي ، والآخر : أهمِّيَّةُ الأفعال في الدراسات الخاصة بالمفردات القرآنية قديمًا وحديثًا .

لذا فقد توجَّب على الدارسين رعايةُ أهميَّة الألفاظ في القرآن الكريم ، وتوخِّي الدقَّة في التعامل معها ، في أثناء تحليلهم الخطاب القرآني من خلال التدبُّر والتأمُّل ؛ إذ ليس من السهولة بمكانٍ التعامل مع النص القرآني ؛ لأن القرآن الكريم معجزٌ في اختيار ألفاظه .

## توطئة

ذكر الراغب الأصفهاني : (( أنَّ أوَّلَ ما يُحتاج أن يُشتغل به من علوم القرآن ، العلوم اللفظيَّة ، ومن العلوم اللفظيَّة تحقيقُ الألفاظ المفردة . فتحصيلُ معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يدركَ معانيه ، كتحصيل اللَّبِن في كونه من أوَّل المعاون في بناء ما يريد أن يبنيه ))[١].

ومن دون فهم الألفاظ لا يمكن فهم التراكيب ، فألفاظ القران الكريم لا بدَّ من أن تكون (( مقدمة في الرتبة ، لا الأصل في الخطاب ، وبها يحصل التفاهم ، فإذا عُرِفت ، ترتَّبت المعاني عليها ، فكان الاهتمام ببيانها أولى ))[٢]؛إذ (( لو كان فهم اللفظ الافرادي يتوقف عليه فهم التركيبي لم يكن تكلفا بل هو مضطر إليه)) [٣].

إنَّ كلَّ لفظٍ في القرآن الكريم وُضِعَ في المكان المناسب له بشكلٍ يجعل استبدالَ لفظٍ بلفظٍ آخر سببًا في اختلال المعنى وتشويه البناء ، وهذا يدلُّ دلالةً واضحةً على أنَّ (( التعبيرَ القرآنيَّ تعبيرٌ فنيٌّ مقصودٌ . كلُّ لفظةٍ بل كلُّ حرفٍ فيه وُضِعَ وضعًا فنيًّا مقصودًا ، ولم تُراعَ في هذا الوضع الآيةُ وحدها ولا السورة وحدها بل روعي في هذا الوضع التعبيرُ القرآنيُّ كلُّه ))[٤].

ويعتمد العاملُ الأساسيُّ في اختيار المفردة القرآنية على ما تعطيه اللفظة من معانيَ ودلالاتٍ إضافيةٍ فضلًا عن معناها الأساسي ؛ إذ إنَّ لكلِّ لفظةٍ قرآنيةٍ إيحاءً دقيقًا يجعلها تتماز عمَّا سواها من الألفاظ ، وهنا يكمن إعجازُ القرآن الكريم .

لذلك كان لزامًا على من يتصدَّى لتفسير القرآن أن يكونَ ملمًّا باللغة كي يفهمَ كتابَ الله الفهمَ الصحيحَ من خلال شرح المفردات وبيان مدلولاتها ؛ لأنَّ فهمَ دلالة المفردة القرآنية يُعين على فهم القرآن الكريم ، وهذا أمرٌ ضروريٌّ لا بدَّ من توافره لدى المفسِّر لكتاب الله المجيد . وقد أكَّد الشيخُ محمد عبده ذلك بقوله : (( وأما المرتبةُ العليا في التفسير فلا تتمُّ إلَّا بأمورٍ : أحدها : فهم حقائق الألفاظ المفردة التي أوردها القرآن ، بحيث يحقِّق المفسِّر ذلك من استعمالات أهل اللغة ، غير مكتفٍ بقول فلانٍ وفهم فلانٍ ، فإنَّ كثيرا من الألفاظ كانت تستعمل في زمن التنزيل لمعان ثم غلبت على غيرها بعد ذلك بزمن قريب أو بعيد )) [٥].

ولا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ للسياق أثرًا كبيرًا في اختيار الألفاظ وتوجيه المعاني ، فلا يمكن فهمُ دلالة المفردة القرآنية خارج النسق القرآنيِّ الذي وردت فيه ؛ إذ لا يمكن كشفُ المعاني والدلالات والايحاءات بعيدًا عن السياق الحاضن لها ؛ لأنَّ السياقَ هو من يكسب المفردات معانيَ قد تبدو غيرَ معهودةٍ أوَّل وهلةٍ .

وسنتناول في هذا البحث القصديةَ في الأفعال في قصص القرآن الكريم ، فقد حظي الفعل بعناية علماء اللغة والنحو من حيث بنيته ودلالته ، وأفردوا له أبوابًا في كتبهم ، لما له من أهمية في اللغة العربية بوصفه أحد أقسام الكلم الثلاثة ( الاسم ، والفعل ، والحرف ) .

ولو أنعمنا النظرَ في الأفعال لوجدناها تحمل دلالاتٍ ومقاصدَ مختلفةً سواءٌ من حيث البناء أو من حيث الزمن . وقد زخرت قصص القرآن الكريم بالعديد من الأمثلة التي كان للأفعال فيها أثرٌ كبيرٌ في تحديد المقاصد الربانيَّة .

وفيما يلي نستعرض أبرز ما تجلَّى لنا من ملامح ( القصديَّة ) في الأفعال التي وردت في قصص القرآن الكريم :

**١- التَّنحِّي والبُعْدُ**

( **تَقْـــرَب** ) فـــي قولـــه تعـــالى :﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾[٦]

الْقَافُ وَالرَّاءُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الْبُعْدِ [٧]، (( قَرُبَ الشَّيْءُ بِالضَّمِّ يَقْرُبُ قُرْبًا وَقُرْبَانًا وَقِرْبَانًا ، أَيْ : دَنَا فَهُوَ قَرِيبٌ الْوَاحِدُ وَالِاثْنَانِ وَالْجَمِيعُ فِي ذَلِكَ سَوَاءٌ ))[٨].

وفي هذه الآية الكريمة نهى الله سبحانه وتعالى آدم ٧ وزوجه عن القربان ، وهو أبلغ من أن يقع النهي عن الأكل[٩] ؛ لأنَّ القرب من الشيء الذي هو من مقدِّمات التناول مبالغة في تحريمه ، ووجوب الاجتناب عنه ينشئ داعيةً وميلًا يأخذ بمجامع القلب ويلهيه عمَّا هو مقتضى العقل والشرع إليه وقد جاء في الحديث الشريف :من حام حول الحمى يوشك أن يقعَ فيه[١٠] . ولمَّا أراد الله النهي عن أكل الشجرة نهى عنه بلفظة تقتضي الأكل وما يدعو إليه وهو القرب[١١].

وقد ذهب الفخر الرازي (ت٦٠٦هـ) إلى أنَّ القولَ بالنهي عن الأكل ضعيفٌ ؛ ((لأنَّ النهيَ عن القرب لا يفيد النهيَ عن الأكل ؛إذ ربَّما كان الصلاحُ في تركِ قربها مع أنَّه لو حُمِلَ إليه لجاز له أكله ،بل هذا الظاهر يتناول النهيَ عن القرب)) (١٢). وهذا الكلامُ يخالف ما أجمع عليه أغلبُ المفسِّرين .

وقد وردت في القرآن الكريم أمثلة كثيرة في هذا المعنى كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾{ الإسراء/٣٢ } ؛ إذ إنَّ النهي عن القرب من الزنا فيه مبالغة أكثر من النهي عنه من أجل قطع الوسيلة التي تؤدي الى ارتكاب هذه الفاحشة ؛ لأنّ تجنّب الأسباب التي تقرِّب من المعصية هي التي تعصم الإنسان من الوقوع فيها . ومن ذلك أيضًا قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ ﴾{ البقرة /٢٢٢ } ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ ﴾(الانعام / ١٥١ } ، وقوله تعالى :﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾{ الإسراء / ٣٤ } (١٣).

ووفقًا لِمَا تقدَّم يتبيَّن لنا أنَّ القصدَ من النهي عن القرب من الشجرة فيه مبالغةٌ أشدُّ من النهي عن الأكل نفسه ، وإنَّما تعلَّق بالقرب من الشجرة إيذانًا بشدَّة النهي ومبالغةً في التأكيد .

**٢- الإحاطَةُ والشُّمولُ والمُلازَمةُ**

( **ضُرِبَ** ) في قوله تعالى :﴿ ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ١١٢ ﴾ (١٤)

الضَّادُ وَالرَّاءُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ ، ثُمَّ يُسْتَعَارُ وَيُحْمَلُ عَلَيْهِ (١٥). و(( الضَّرْبُ مَعْرُوفٌ ، وَالضَّرْبُ مَصْدَرُ ضَرَبْتُهُ ، وَضَرَبَهُ يَضْرِبُهُ ضَرْبًا وَضَرَّبَهُ ... وَضَرَبَ الْوَتِدَ يَضْرِبُهُ ضَرْبًا :دَقَّهُ حَتَّى رَسَبَ فِي الْأَرْضِ ... وَضَرَبَ الدِّرْهَمَ يَضْرِبُهُ ضَرْبًا : طَبَعَهُ )) (١٦).

(( وَضَرَبَ الخَيْمَةَ يَضْرِبُ أَوْتَادَهَا بِالْمِطْرَقَةِ ، وَتَشْبِيْهًا بِالْخَيْمَةِ ، قال : ﴿ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ ﴾{ آل عمران / ١١٢ } ، أي : الْتَحَفَتْهُم الذِّلَّةُ الْتِحَافَ الخَيْمَةِ بِمَنْ ضُرِبَتْ عَلَيْهِ ، وعَلَى هذا : ﴿ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ﴾ ، ومنه استعير : ﴿ فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ فِي ٱلۡكَهۡفِ سِنِينَ عَدَدٗا ١١ ﴾ { الكهف / ١١ } ، وقوله : ﴿ فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ ﴾{ الحديد / ١٣ } )) (١٧).

ومعنى الضرب هنا : الإلزامُ والقضاءُ على بني إسرائيل ، من ( ضربَ الأميرُ البعثَ على الجيش ) ، ويقال : ضربَ الحاكمُ على اليد ، وضربَ الدهرُ ضرباتِه ، أي ألزمَ إلزاماتِه(١٨). وقيل : معناه الإحاطةُ بهم والاشتمالُ عليهم وهو مأخوذٌ من ضرب القباب ، ومنه قول الفرزدق :

ضَرَبَتْ عليك العنكبوتُ بِنَسجِها وقضى عليكَ بها الكتابُ المُنزلُ(١٩)

(( فجُعِلَت الذلَّة محيطةً بهم ومشتملةً عليهم ، فهم فيها كما يكون في القبَّة من ضُرِبَت عليه )) (٢٠). وهم لا يخرجون من دائرتها ، بل ينتقلون فيها من جانبٍ إلى آخرَ ، فصارت حالُهم في ذلّتهم ، كحال من ضُرِبَت عليهم قُبّةٌ لا يخرجون منها(٢١).

وقيل : معناه أنَّ الذلَّةَ التصقتْ بهم ، من ضَربتُ الحائطَ بالطين : ألصقتُهُ به(٢٢) (( حتى لزِمَتْهُم ضربةُ لازمٍ كما يُضْرَبُ الطينُ على الحائط فيَلْزَمُهُ )) (٢٣)، (( فاليهودُ صاغرون أذلَّاءُ أهلُ مسكنةٍ ومدقعةٍ ، إمَّا على الحقيقة ، وإمَّا لتصاغرهم وتفاقرهم ؛ خيفةَ أن تُضاعَفَ عليهم الجِزيةُ )) (٢٤) ، وهم ولا يرضون إلا بالذلِّ ، ولا يقبلون غيره ، والنفسُ إذا ألفت الذلَّ ، واستمرأته ، رضيت بكلِّ من يذلّها وسكنت خاضعةً له(٢٥). وكثيرًا ما ترى الأذلّاء تحسبهم أعزاءَ يختالون في مشيتهم من الكبرياء ، ويباهون بما لهم من سلفٍ وآباءٍ ، وربّما فاخروا من لا يخشون سطوته من الكُبراء(٢٦).

وتجسيم الذلّة والمسكنة بفعل الضرب يوحي بظهورهما للعيان وكأنّهما خيمةٌ تُضرب عليهم ، وهذه الكلمة توحي بالعنف المناسب ، وكأنّ الذلّة والمسكنة أداةٌ يُضرَبُ بها هؤلاء اليهود ضربًا(٢٧).

وفي هذا المجال يمكننا أن نقولَ إنَّ الفعلَ ( ضُرِبَ ) دلَّ على أنَّ صفتي الذلَّة والمسكنة باقيتان ومستمرتان في بني إسرائيل وفي سلالتهم وتحيطان بهم وتشتملان عليهم من جميع الجهات أينما كانوا .

**٣- التَّغلغُلُ والمُخَالَطَةُ**

( **أُشْرِبَ** ) في قوله تعالى :﴿ وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾(٢٨)

الشِّينُ وَالرَّاءُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ مُنْقَاسٌ مُطَّرِدٌ ، وَهُوَ الشُّرْبُ الْمَعْرُوفُ ، ثُمَّ يُحْمَلُ عَلَيْهِ مَا يُقَارِبُهُ مَجَازًا وَتَشْبِيهًا . وَالْإِشْرَابُ : لَوْنٌ قَدْ أُشْرِبَ مِنْ لَوْنٍ(٢٩) ، وَكُلُّ لَوْنٍ خَالَطَ لَوْنًا آخَرَ فَقَدْ أُشْرِبَهُ ، وَالصِّبْغُ يَتَشَرَّبُ فِي الثَّوْبِ ، وَالثَّوْبُ يَتَشَرَّبُهُ أَيْ يَتَنَشَّفُهُ ، وَأُشْرِبَ فُلَانٌ حُبَّ فُلَانَةَ أَيْ خَالَطَ قَلْبَهُ . وَأُشْرِبَ قَلْبُهُ مَحَبَّةَ هَذَا أَيْ حَلَّ مَحَلَّ الشَّرَابِ(٣٠).

وإشرابُ الشيءِ الشيءَ : مخالطتُه إيَّاه وامتزاجُه به ، يقال : بياضٌ مشربٌ بحمرةٍ ، أو هو من الشرب كأنَّ الشيءَ المحبوبَ شرابٌ يُساغ ؛ لأنَّه يسري في قلب المحبِّ ويمازجه كما يسري الشرابُ العذبُ البارِدُ في لهاته(٣١).

وتعدُّ هذه الاستعارةُ من فرائد الاستعارات التي يُتمثَّل بها عند ذكر بلاغة القرآن الكريم ، وقد استعيرت كلمة الإشراب لتغلغل ذكر العجل في قلوب بني إسرائيل كأنَّه حلَّ حلولَ الشراب فيها ، وبُنِيَ الفعل ( أُشْرِبَ ) للمجهول ؛ لكثرة الأسباب الباطلة التي أشربته قلوبهم ، فالشيطانُ زيّنه لهم ، وسوَّل لهم عبادتَه ، وعشرتُهم للمصريين الذين كانوا يقدِّسونه ، والعشرة المستمرة لهم مع مظالمهم وضلال نفوسهم ، كلُّ هذا سهّل سريانَ عبادته إليهم ؛ ولذلك قال بكفرهم(٣٢). وقيل : تداخلهم حبُّ العجل والحرصُ على عبادته لفرط شغفهم به ، كما يتداخلُ الثوبَ الصبيغُ(٣٣). وصار العجلُ جزءًا من تفكيرهم ، كما صارت الصبغةُ جزءًا من الثوب ، لا تنفصل عنه(٣٤).

وهذه (( الصورة تعرب عن تغلغل الماديّة في قلوب بني إسرائيل حتى كأنّ العجلَ دخل في قلوبهم وتغلغلَ كما يدخل الماءُ في الجسم مع أنَّ القلبَ لا تدخله الماديَّاتُ ))(٣٥)، ويظلُّ الخيالُ يتمثّل هذه المحاولةَ العنيفةَ الغليظةَ ، وهذه الصورةَ الساخرةَ الهازئةَ ، وهي صورةُ العجل الذي يدخل في القلوب إدخالًا ، ويُحْشَرُ فيها حَشرًا ، حتى ليكاد ينسى المعنى الذهنيَّ الذي جاءت هذه الصورة المجسمة لتؤدِّيه ، وهو حبُّهم الشديدُ لعبادة العجل ، حتى لكأنَّهم أُشربوه إشرابًا في القلوب ، وهنا تبدو قيمةُ التعبير القرآنيِّ المصوِّر، بالقياس إلى التعبير الذهنيِّ المفسِّر(٣٦).

وإنَّما عبَّر عن حبِّ العجل بالشرب دون الأَكل لأنّ شُرب الماء يتغلغلُ في الأعضاء حتى يصلَ إلى باطنها .

وذهب بعض الجامدين على الظواهر إلى أن المرادَ بالشرب هنا حقيقتُه ، وزعموا أنّ موسى ٧ أمر أن يُبرَّدَ العجلُ فسحقه وذراه في اليمِّ ، وأمرهم أن يشربوا منه فمن بقي في قلبه شيءٌ من حبِّ العجل ظهرت سحالةُ الذهب على شاربه ، فطفقوا يشربون المسحوقَ مع الماء ، وغفل صاحب هذا الزعم عن قوله تعالى : ( في قلوبهم ) ، والشرابُ الحقيقيُّ لا يكون في القلب ، والشربُ غيرُ الإشراب(٣٧).

ومن الملاحظ أنّ هذا القولَ بعيدٌ كلّ البعد عن القصد المراد من استعمال هذا الفعل في الآية الكريمة ؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى أشار إلى مدى تغلغل حبِّ العجل في قلوبهم لشدَّة ضلالهم ووصوله إلى أبعد نقطةٍ في تلك القلوب ، حتى اختلط بمشاعرهم وسيطر على تفكيرهم ، فصاروا أُسارى مخدوعين يمشون بلا هدًى .

**٤- التَّجرُّدُ والتَّبرُّؤُ والتَّخلِّي**

( **انْسَلَخَ** ) في قوله تعالى : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ (٣٨)

السِّينُ وَاللَّامُ وَالْخَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ ، وَهُوَ إِخْرَاجُ الشَّيْءِ عَنْ جِلْدِهِ ، ثُمَّ يُحْمَلُ عَلَيْهِ ، وَالْأَصْلُ سَلَخْتُ جِلْدَةَ الشَّاةِ سَلْخًا . وَالسِّلْخُ : جِلْدُ الْحَيَّةِ تَنْسَلِخُ (٣٩). وَشَاةٌ سَلِيخٌ : كُشِطَ عَنْهَا جِلْدُهَا فَلَا يَزَالُ ذَلِكَ اسْمَهَا حَتَّى يُؤْكَلَ مِنْهَا ، فَإِذَا أُكِلَ مِنْهَا سُمِّيَ مَا بَقِيَ مِنْهَا شِلْوًا قَلَّ أَوْ كَثُرَ ، وَمِسْلَاخُ الْحَيَّةِ : جِلْدَتُهَا الَّتِي تَنْسَلِخُ عَنْهَا ، وَقَدْ سَلَخَتِ الْحَيَّةُ تُسْلَخُ سَلْخًا ، وَكَذَلِكَ كُلُّ دَابَّةٍ تَنْسَرِي مِنْ جِلْدَتِهَا كَالْيُسْرُوعِ وَنَحْوِهِ ، وَانْسَلَخَ النَّهَارُ مِنَ اللَّيْلِ : خَرَجَ مِنْهُ خُرُوجًا لَا يَبْقَى مَعَهُ شَيْءٌ مِنْ ضَوْئِهِ لِأَنَّ النَّهَارَ مُكَوَّرٌ عَلَى اللَّيْلِ ، فَإِذَا زَالَ ضَوْءُهُ بَقِيَ اللَّيْلُ غَاسِقًا قَدْ غَشِيَ النَّاسَ (٤٠).

والانسلاخُ من الآيات مبالغةٌ في التبرِّي منها والبعد(٤١)، والمرادُ أنَّه خرج منها بالكليَّة بأن كفر بها ونبذها وراء ظهره ، وفي هذا التعبير ما لا يخفى من المبالغة(٤٢)، واستُعير في الآية للانفصال المعنويِّ ، وهو تركُ التلبُّس بالشيء أو عدم العمل به(٤٣)، فلم يعمل بما اقتضته نعمةُ الله عليه من إتيانه الآيات ، فجُعِلَ كأنَّه كان ملتبسًا بها كالثوب وانسلخ منها ، وهذا من إجراء المعنى مجرى الجزم(٤٤)، فخرج من محبَّة الله إلى معصيته ، ومن رحمة الله إلى سخطه ، ويقال لكلِّ من فارق شيئًا بالكليَّة انسلخ منه (٤٥).

والتعبير بالانسلاخ المستعمل عند العرب في خروج الحيَّات والثعابين أحيانًا من جلودها يدلُّ على أنَّه كان متمكِّنًا من الآيات والعلوم الإلهيَّة ظاهرًا لا باطنًا (٤٦) ؛ إذ إنَّها كانت تحيط به إحاطةَ الجلد بالبدن ، إلَّا أنَّه خرج منها على حين غرَّةٍ واستدار إلى الوراء وغيَّر مسيرَه بسرعةٍ كما أنَّ التعبيرَ القرآنيَّ ﴿ فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ ﴾ يُستفاد منه أنّ الشيطانَ كان أوَّلَ الأمر آيسًا منه تقريبًا ، لأنَّه كان

يسلك سبيل الحقِّ تمامًا ، وبعد أن انحرف لحقه الشيطانُ وتربَّص له وأخذ يوسوس له حتى انتهى أمرُه إلى أن يكونَ من الضالِّين المنحرفين الأشقياء(٤٧).

ونستطيع القول إنَّ التعبيرَ القرآنيَّ قصدَ من خلال استعمال الفعل ( انسلخ ) الإشارةَ إلى مسألةٍ مهمَّةٍ ، وهي كونُ الشخص المذكور في الآية كما أشارت إليه كتب التفاسير كان من العُبَّاد الزُّهَّاد الذين قضوا أعمارَهم في عبادة الله ، إلى أن حان الوقت الذي تمكَّن فيه الشيطانُ من إغوائه والإيقاع به رويدًا رويدًا . والتعبير عن خروجه من طاعة الله إلى معصيته بالانسلاخ دليلٌ على كونه كان متمكِّنًا من آيات الله فانحرف وضلَّ وانسلخ منها كما تنسلخ الحيّةُ من جلدها فلم يبقَ له معها أيُّ ارتباط .

**٥- الاضطرابُ والسُّرعةُ**

**( يُهْـــــرَعُ )** في قوله تعالى:﴿ وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ﴾ (٤٨)

الْهَاءُ وَالرَّاءُ وَالْعَيْنُ : أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى حَرَكَةٍ وَاضْطِرَابٍ(٤٩). والْهَرَعُ وَالْهُرَاعُ وَالْإِهْرَاعُ : شِدَّةُ السَّوْقِ وَسُرْعَةُ الْعَدْوِ ، وَقِيْلَ : الْإِهْرَاعُ إِسْرَاعٌ فِي طُمَأْنِينَةٍ ، ثُمَّ قِيلَ لَهُ : إِسْرَاعٌ فِي فَزَعٍ ، فَقَالَ : نَعَمْ . وَقَالَ الكِسَائِيُّ : الْإِهْرَاعُ إِسْرَاعٌ فِي رِعْدَةٍ ، وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : أُهْرِعَ الرَّجُلُ إِهْرَاعًا إِذَا أَتَاكَ ، وَهُوَ يُرْعَدُ مِنَ الْبَرْدِ ، وَقَدْ يَكُونُ الرَّجُلُ مُهْرَعًا مِنَ الْحُمَّى وَالْغَضَبِ ، وَهُوَ حِينٌ يُرْعَدُ(٥٠).

وقيل : معنى ( يُهرَعون ) أي : يسرعون ، كأنَّهم يُدفعون دفعًا فعلَ الطامع الخائف فوتَ ما يطلبه(٥١). وقد جاؤوا مسرعين مهتزِّين في رعدة الشهوة الجامحة الفاسدة التي انتابتهم من شدَّة الفاحشة التي ما سبقهم بها أحدٌ من العالمين ، والفعل ( يُهْرَع ) لا يُستعمَل إلا مبنيًّا للمجهول(٥٢).

ونلحظ في هذا الفعل حسَّ السرعة مع الاضطراب والعنف وطيش الاندفاع ، وبناؤه للمجهول ، أعطاه دلالةَ هذا الاندفاع غير الإرادي وكأنَّهم يُساقون بعنف مغلوبين على أمرهم ، بشهوة فسقهم ، أو بتقليدٍ أعمى ومسايرةٍ طائشةٍ على آثار آبائهم الضالِّين ، وقول الشاعر : أتونا يُهرَعون وهم أُسارى ، لا يشهدُ للاقبال

بالغضب ، وإنَّما هو اضطراب أُسارى مغلوبين على أمرهم ، يُساقون إلى الأسر على رغم الأنوف(٥٣).

ووفقا لما تقدَّم يظهر لنا القصدُ من استعمال الفعل ( يُهرَعون ) من دون غيره ، فهذا الفعل المبني للمجهول يكشف عن حالةٍ نفسيَّةٍ مضطربةٍ تتتاب من يسير على غير هدًى مندفعًا خلف الشهوة الجامحة التي تغلَّبت عليه ، وسيطرت على حواسِّه كلِّها ، حتى وصل به الأمرُ إلى درجةٍ أصبح فيها يُساق نحو الفاحشة بطيشٍ واضطرابٍ ، بعد أن أفقدته الشهوةُ السيطرةَ على نفسه ، فأصبح زمام أموره كلِّها بيد الشيطان .

**٦- التَّتبُّعُ وطلبُ المَعرفةِ**

( **تَحَسَّس** ) في قوله تعالى : ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٧ ﴾(٥٤)

الْحِسُّ وَالْحَسِيسُ : الصَّوْتُ الْخَفِيُّ ، وحَسَّ بِالشَّيْءِ وَأَحَسَّ بِهِ وَأَحَسَّهُ : شَعَرَ بِهِ ، والْإِحْسَاسُ الْعِلْمُ بِالْحَوَاسِّ ، وَحَوَاسُّ الْإِنْسَانِ : الْمَشَاعِرُ الْخَمْسُ وَهِيَ الطَّعْمُ وَالشَّمُّ وَالْبَصَرُ وَالسَّمْعُ وَاللَّمْسُ ، وَتَحَسَّسَ الْخَبَرَ : تَطَلَّبَهُ وَتَبَحَّثَهُ . وَالتَّحَسُّسُ شِبْهُ التَّسَمُّعِ وَالتَّبَصُّرُ ، وَالتَّجَسُّسُ الْبَحْثُ عَنِ الْعَوْرَةِ ، وَتَحَسَّسْتُ مِنَ الشَّيْءِ أَيْ تَخَبَّرْتُ خَبَرَهُ . وَحَسَّ مِنْهُ خَبَرًا وَأَحَسَّ ، كِلَاهُمَا : رَأَى ، وَقَالُوا : ذَهَبَ فُلَانٌ فَلَا حَسَاسَ بِهِ ، أَيْ لَا يُحَسُّ بِهِ أَوْ لَا يُحَسُّ مَكَانُهُ . وَالْحِسُّ وَالْحَسِيسُ : ما تَسْمَعُهُ مِمَّا يَمُرُّ قَرِيبًا مِنْكَ وَلَا تَرَاهُ ، وَهُوَ عَامٌّ فِي الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا(٥٥).

والتحسُّس والتجسُّس لا يبعد أحدهما من الآخر ، إلا أنّ التحسُّسَ يكون في الخير والتجسُّس يكون في الشر ، كما نقل عن ابن عبَّاس ، والتحسُّسُ يكون بطلب الشيء بالحاسَّة ، أي : تحسَّسوا بحواسِّكم ، في لطفٍ وبصرٍ وصبرٍ على البحث ، قال ابن عبَّاس : معناه التمسوا ( ولا تيأسوا ) ولا تقنطوا(٥٦) . وفي التحسُّس شدَّةُ تطلُّبٍ وتعرُّفٍ ، وهو أعمُّ من التجسُّس ؛ فهو تطلُّبٌ مع اختفاء وتستُّر(٥٧).

وقيل إنَّ التحسُّسَ هو السعيُ في معرفة سيرة الأشخاص والأقوام دون التجسُّس الذي هو البحثُ لمعرفة العيوب . وثمَّة رأيٌ آخرَ يشير إلى اتِّحادهما في المعنى ، إلَّا أنَّ ملاحظةَ الحديث الوارد عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

بقولـه : (( لا تجسَّسـوا ولا تحسَّسـوا )) يثبـت لنـا أنَّهمـا مختلفـان وأنَّ مـا ذهـب إليـه ابـن عبَّـاس فـي الفـرق بينهمـا هـو الأوفـق بسـياق الآيـات المـذكورة ، ولعـلَّ المقصـود منهمـا فـي هـذا الحـديث الشـريف : لا تبحثـوا عـن أُمـور النـاس وقضـاياهم سـواء كانـت شـرًّا أم خيرًا (٥٨).

والملاحـظُ ممَّـا تقـدَّم أنَّ التحسُّـسَ شـيءٌ والتجسُّـسَ شـيءٌ آخـرَ، والأنبيـاء : لا يصـدر عـنهم فعـلٌ أو قـولٌ إلَّا كـان دالًّا علـى الخيـر فـي أعلـى مراتبـه ، فحـين قـال يعقـوب ٧ لبنيـه : ﴿ يـا بَنِـيَّ اذْهَبُـوا فَتَحَسَّسُـوا مِـنْ يُوسُـفَ وَأَخِيـهِ ﴾ ، كـان يقصـد أن يحفِّـزَهم لإعمـال حواسِّـهم بحثًـا عـن أخبـار يوسـف ٧ وأخيـه بكـلِّ مـا أُوتـوا مـن قـوةٍ وطاقـةٍ ، دون أن يتركـوا لليـأس مجـالًا للتسـلُّلِ إلـى نفوسـهم والسـيطرة عليهـا ، ومـن غيـر أن يصـدر عـنهم شـرٌّ أو سـوءٌ . وبمـا أنَّ اللهَ سـبحانه وتعـالى نهـى عـن التجسُّـس وعـدَّه مـن التصـرفات الذميمـة فـي المجتمـع ، لـذا فمـن غيـر المنطقـي المسـاواة بـين التحسُّـس والتجسُّـس فـي الآيـة الكريمـة ؛ إذ لـيس مـن خُلُـق الأنبيـاء الـدعوة الـى التجسُّس .

**٧- الاضطرارُ والإلجاءُ**

( **أَجَـــاءَ** ) فـــي قولـــه تعـــالى : ﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ ﴾ (٥٩)

الْمَجِـيءُ : الْإِتْيَـانُ ، جَـاءَ جَيْئًـا وَمَجِيئًـا ، وَأَجَأْتُـهُ ؛ أَيْ : جِئْـتُ بِـهِ ، وَجَـاءَ بِـهِ ، وَأَجَاءَهُ ، وَإِنَّهُ لَجَيَّاءٌ بِخَيْرٍ ، وَأَجَاءَهُ إِلَى الشَّيْءِ : جَاءَ بِهِ وَأَلْجَأَهُ وَاضْطَرَّهُ إِلَيْهِ (٦٠).

والفـاء فـي قولـه : ﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ ﴾ للتعقيـب العرفـيِّ ، أي جاءهـا المخـاضُ بعـد تمـام مـدَّة الحمـل إلـى جـذع النخلـة وهـي نخلـةٌ فـي المكـان الـذي تنحَّـت إليـه(٦١). وأجاءهـا معنـاه ألجأهـا ، وأصـلُه جـاء إلَّا أنَّ اسـتعمالَه قـد تغيَّـر بعـد النقـل إلـى معنـى الإلجـاء ، وعُـدِّي بـالهمزة فقيـل : أجـاءه ، أي : جعلـه جائيًـا . يُقـال : جـاء بـه وأجـاءه إلـى موضـع كـذا ، كمـا يقـال : ذهـب بـه وأذهبَـه(٦٢)، ثـم أُطلِـقَ مجـازًا علـى إلجـاء شـيءٍ إلـى شـيءٍ ، كأنَّـه يجـيءُ بـه إلـى ذلـك الشـيء ، ويضـطرُّه إلـى المجـيء إليـه . قـال الفـرَّاءُ : أصـلُه مـن جئـتُ وقـد جعلتْـهُ العـربُ إلجـاءً . وفـي المثـل شـرُّ مـا يجيئـك إلى مخَّة عرقوب(٦٣).

ومن هنا يظهر أنَّ (( التعبيرَ بالإجاءة بها ، يُعطي معنًى من شدَّة الأزمة وعسر الاضطرار ، لا تعطيه كلمة ( ألجأها ) بما تفيد من معنى الملجأ والملاذ ، بصريح آياتها الثلاث في الكتاب العربي المبين : التوبة ٥٧ ، في المنافقين المتخاذلين : ﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴾ . التوبة ١١٨ ، في الصحابة الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك ، لغير نفاقٍ ، فتاب الله عليهم : ﴿ وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا .... وظنُّوا أن لا ملجأَ من الله إلّا إليه ثم تاب عليهم ﴾ . الشورى ٤٧ : ﴿ استجيبوا لربِّكم من قبل .... ما لكم من ملجأ يومئذٍ ﴾ )) (٦٤).

ووفقا لَمَا ذكرناه يتبيَّن أنَّ تعدية الفعل ( جاء ) بالهمزة أكسبته معنى الإلجاء مع ما حمله من معاني الاضطرار والشدَّة ، فضلًا عن البحث عن ملاذٍ آمنٍ ؛ إذ إنَّ مخاضَ الولادة هو من ألجأَ مريمَ ٣ إلى جذع النخلة مضطرَّةً .

**٨- التَّقصيرُ وفُتُورُ الهِمَّةِ**

( **تَنِيَ** ) في قوله تعالى : ﴿ ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ﴿٤٢﴾ ﴾(٦٥)

الْوَاوُ وَالنُّونُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ . يَدُلُّ عَلَى ضَعْفٍ . يُقَالُ : وَنَى يَنِي وَنْيًا . وَالْوَانِي : الضَّعِيفُ ، وَالْوَنَى : التَّعَبُ . يُقَالُ : أَوْنَيْتُهُ : أَتْعَبْتُهُ (٦٦). والْوَنَى : الْفَتْرَةُ فِي الْأَعْمَالِ وَالْأُمُورُ . وَالتَّوَانِي وَالْوَنَى : ضَعْفُ الْبَدَنِ ، والْوَنَى الضَّعْفُ وَالْفُتُورُ وَالْكَلَالُ وَالْإِعْيَاءُ ، وَالتَّوَانِي فِي الحَاجَةِ : التَّقْصِيْرُ ، وَافْعَلْ ذَلِكَ بِلَا وَنْيَةٍ أَيْ بِلَا تَوَانٍ ، وَامْرَأَةٌ وَنَاةٌ وَأَنَاةٌ وَأَنِيَّةٌ : حَلِيمَةٌ بَطِيئَةُ الْقِيَامِ ، وَقَوْلُهُ ــ عَزَّ وَجَلَّ ــ : ( وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ) مَعْنَاهُ تَفْتُرَا(٦٧).

وقيل في معنى ( تَنِيَا ) أربعةُ أقاويلَ : أحدُها : لا تَفْتَرا في ذكري (٦٨)، والثاني : لا تضعُفا ولا تُقَصِّرا في أمر رسالتي(٦٩)، والثالث: لا تُبطِئا ، قاله ابنُ عبَّاس(٧٠). والرابع : لا تزالا ، وفلان لا يَنِي كذا ، أي لا يزالُ ، أي : لا تنسياني ولا أزالُ منكما على ذكرٍ حيثما تقلَّبتما (٧١).

وترى الدكتورة عائشة بنت الشاطئ أنَّ (( في ( وَنَى ) من حسِّ الإبطاء والتقصير وفتور الهمَّة والعزيمة ، حين يكون الضعفُ ، أكثر ما يكون ، في القوَّة والطاقة والصحَّة ، لا عن توانٍ وتقصيرٍ )) (٧٢).

وليس كلُّ ضعفٍ ناتجًا عن تقصير ، ولكن ــ حتمًا ــ كلُّ تقصيرٍ ناتجٌ عن ضعفٍ ، فهذه دعوةٌ ربانيَّةٌ موجَّهةٌ إلى موسى وهارون ٨ ليتحرَّكا بقوّةٍ نحو فرعونَ يشدُّ أحدُهما أزرَ الآخرِ من دون أن يصدرَ عنهما ضعفٌ أو فتورٌ في العزيمة ؛ لأنَّ ذلك من شأنه أن يُقَوِّي شوكةَ فرعونَ في مواجهتهما ، ويُثبِّط عزيمةَ المؤمنين ويشعرَهم بالإحباط ، فمواجهةُ هذا الطاغيةِ تتطلَّبُ ثباتًا وقوَّةً وإصرارًا على التحدِّي ، فالأمرُ خطيرٌ لا يحتملُ فتورًا ، بل من الواجب أن تكونَ الدعوةُ مستندةً إلى أساسٍ قويٍّ في القول والفعل .

**٩- الشِّدَّةُ والعُسرُ والتَّعاسةُ**

( **تَشْقَى** ) في قوله تعالى :﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ ﴾ { طه/١١٧ }(٧٣)

الشِّينُ وَالْقَافُ وَالأَلِفُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى الْمُعَانَاةِ وَخِلَافِ السُّهُولَةِ وَالسَّعَادَةِ(٧٤). وَأَشْقَاهُ اللَّهُ ، فَهُوَ شَقِيٌّ بَيِّنُ الشِّقْوَةِ بِالْكَسْرِ وَفَتْحُهُ لُغَةٌ . وَالشَّقِيِّ : ضِدُّ السَّعِيدِ ، وَالْمَعْنَى أَنَّ مَنْ قَدَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي أَصْلِ خِلْقَتِهِ أَنْ يَكُونَ شَقِيًّا فَهُوَ الشَّقِيُّ عَلَى الْحَقِيقَةِ ، لَا مَنْ عَرَضَ لَهُ الشَّقَاءُ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى شَقَاءِ الْآخِرَةِ لَا الدُّنْيَا . وَشَاقَيْتُ فُلَانًا مُشَاقَةً إِذَا عَاشَرْتَهُ وَعَاشَرَكَ . وَالشَّقَاءُ : الشِّدَّةُ وَالْعُسْرَةُ (٧٥).

قيل إنَّ الإخراجَ قد وقع على آدمَ ٧ وزوجِه ، ووقعت الشقاوةُ على آدمَ وحده ، وهي شقاوةُ البدن(٧٦). وقيل : تشقى أنت وزوجُك لكونكما في استواء العلَّة واحدٌ ، ولم يقل : فتشقيا ؛ لأنَّ آدمَ ٧ هو المخاطبُ ، وهو المقصودُ بالكلام ، فأَسندَ الشقاء إليه وحده ، ولمَّا كان هو الكادُّ عليها والكاسبُ لها كان بالشقاء أخصَّ ، ولأنَّ في ضمن شقاء الرجل شقاءَ أهلِه ، وفي سعادته سعادتها ، فالرجالُ يتحمَّلون التَّبعات عن أنفسهم وعن النساء ؛ لأنّهم قوَّامون عليهنَّ فأوجدت هذه القوامةُ تبعاتٍ عليهم أكثر ، وفي طبيعة النساء اليوم تحميلُ الرجال التبعةَ ، حتى على أخطائهنَّ وحدهنَّ ، فاختصر الكلامَ بإسناده إليه دونها مع مراعاة الفواصل على أتمِّ وجهٍ (٧٧). (( إنَّ هذا الإختلافَ في التعبير قد يكون إشارةً إلى أنّ الآلامَ والأتعابَ كانت تصيبُ آدمَ في الدرجة الأُولى ، فإنَّه كان مأمورًا بتحمُّل مسؤوليات زوجته

أيضًا ، وهكذا كانت مسؤوليةُ الرجال من بداية الأمر. أو إنَّ العهدَ لمَّا كان من البداية على عاتق آدمَ ، فإنَّ النهايةَ أيضًا ترتبط به )) (٧٨).

وقيل : (( أراد بالشقاء التعبَ في طلب القوت وذلك راجعٌ إلى الرجل )) (٧٩). ورُوي أنَّ آدمَ ٧ لمّا أُهبط هبط معه ثورٌ أحمرُ، فكان يحرث عليه ويمسح العرقَ ، فيأكل بكدِّ يمينه وعرق جبينه فهذا هو الشقاءُ الذي خُوِّفَ منه(٨٠).

ويمكننا القول إنَّ القصدَ من إسناد الشقاء إلى آدمَ ٧ وحده ، كونه هو من سيتحمل تبعات الخروج من الجنَّة ، فعليه أن يكدَّ ويتعبَ ليوفِّرَ لُقمةَ العيش له ولأهله ، كما إنَّ شقاءَ زوجه يكون من ضمن شقائه .

**١٠- التَّجاوزُ والعُلُوُّ والارتفاعُ**

( **طَغَى** ) في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ ﴾ (٨١)

الطاءُ وَالْغَيْنُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلٌ صَحِيحٌ مُنْقَاسٌ ، وَهُوَ مُجَاوَزَةُ الْحَدِّ فِي الْعِصْيَانِ(٨٢). طَغَى يَطْغَى طَغْيًا ، وَيَطْغُو طُغْيَانًا ، جَاوَزَ الْقَدْرَ وَارْتَفَعَ وَغَلَا فِي الْكُفْرِ ، وَكُلُّ مُجَاوِزٍ حَدَّهُ فِي الْعِصْيَانِ طَاغٍ ، وَأَطْغَاهُ الْمَالُ أَيْ جَعَلَهُ طَاغِيًا ، وَطَغَى الْمَاءُ وَالْبَحْرُ : ارْتَفَعَ وَعَلَا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَاخْتَرَقَهُ ، وَطَغَى الْبَحْرُ : هَاجَتْ أَمْوَاجُهُ . وَطَغَى الدَّمُ : تَبَيَّغَ . وَطَغَى السَّيْلُ إِذَا جَاءَ بِمَاءٍ كَثِيرٍ . وَكُلُّ شَيْءٍ جَاوَزَ الْقَدْرَ فَقَدْ طَغَى كَمَا طَغَى الْمَاءُ عَلَى قَوْمِ نُوحٍ ، وَكَمَا طَغَتِ الصَّيْحَةُ عَلَى ثَمُودَ(٨٣).

والمعنى : إنَّ الماءَ طغى على خزانه فلم يدروا كم خرج ، وليس ينزل من السماء قطرةٌ قبل تلك الواقعة ولا بعدها إلا بكيلٍ معلومٍ ، وسائرُ المفسِّرين قالوا : ﴿ طَغَى الْمَاءُ ﴾ أي : تجاوز الحدَّ المعروفَ في العِظَم حتى علا كلَّ شيءٍ وارتفع فوقه فغرقت الأرضُ بمن عليها إلّا من شاء اللهُ نجاته(٨٤)، (( فلم يطيقوا ضبطه ولا قاووه بوجهٍ من الوجوه ، ولا وفِّقوا لركوب السفينة ، فكان خروجُه عن العادة رادًّا على أهل الطبائع )) (٨٥).

وقد استُعير الطغيانُ لشدَّته الخارقةِ للعادة تشبيهًا له بطغيان الطاغي على الناس ، وهو تشبيهُ تقريبٍ ؛ لأنّ الطُّوفانَ أقوى شدّةً من طغيان الطاغي(٨٦).

ودلالـةُ الفعـل ( طَغَـى ) أبلـغُ مـن دلالـة الفعـل ( عَـلَا ) ؛ لأنّ فيـه قهـرًا ، وهـو اسـتعارةُ معقولٍ لمحسوسٍ(٨٧).

وبنـاءً علـى مـا ذُكِـر فـإنّ القصـدَ مـن اسـتعمال الفعـل ( طَغَـى ) هـو كمـالُ الدلالـة علـى التجـاوز والعُلُـوِّ والارتفـاع ؛ إذ إنّ هـذا الفعـلَ أدّى فـي هـذا المـورد دلالـةً مـا كـان ليؤديها غيرُه من الأفعال بالشدَّة نفسِها .

## الخاتمة

**ممَّا تقدَّم خلص البحث إلى عدَّة نتائج أهمها :**

١- إنَّ أهميـة القصـد تتمثّلُ بحسـن اختيـار المفردة التـي تحقّـق الغـرضَ التواصـليَّ مـع المتلقّي .

٢- إنَّ وسائل القرآن الكريم متنوعة في تحقيق مقاصده ، ويعدُّ أسلوبُ القصِّ أحدَ أهمِّ الوسائل في إيصال رسالته إلى الناس .

٣- إنَّ بيان معاني القرآن الكريم لا بدَّ من أن يتمَّ أولًا بمعرفة ما تدلُّ عليه مفرداته قبل ما عداها ؛ إذ لا يمكن فهم التراكيب من دون فهم الألفاظ .

٤- تتحـقَّق القصـدية بـالمفردات بنسـبة أكبـر مـن تحققهـا بالتراكيـب ؛ لأنَّ اللفـظ يعـد الأساس الذي يشكل الجملة القرآنية ، ولبنة بنائها اللغوي .

٥- إنَّ كلَّ لفظٍ في القرآن الكريم وُضِعَ في المكان المناسب له بشكلٍ يجعل استبدالَ لفظٍ بآخر سببًا في اختلال المعنى وتشويه البناء ، وذلك من إعجاز القرآن الكريم .

٦- يعتمد العاملُ الأساسيُّ في اختيار المفردة القرآنية على ما تعطيه اللفظةُ من معانيَ ودلالاتٍ إضافيةٍ فضلًا عن معناها الأساسيِّ .

٧- إنَّ الكشفَ عن المعنى لا يمكن أن يتحصَّل بالنظر إلى اللفظ بمعزلٍ عن الألفاظ التي تجاوره لوجود علاقة تربط تلك الألفاظ بعضها ببعض .


## *Abstract*

## *Intentionality in Verbs*

### *- The Quranic Narratives as a Sample-*

***The Key Words: Intention, Verbs, Narratives.***

***A paper was extracted from a doctorial dissertation***

*Asst. Prof. Dr. Nusseif Jassim Mohammed Al-Khafaji*
*Asst. Inst.Sadiq Bresam Kittan Al-A'aawi*

***The paper entitled(intentionality in verbs- the Holy Quranic verses Sample) deals with the intentionality as one of the well- known seven standards which verify contextuality in the discourse in the Modern Linguistic studies .In fact intentionality gained the interest of the Arabic and western linguists as well, they investigated the connection between what the speaker intends and what the words mean, since intentionality has an effective impact on the interpretation of the texts.***

***The research sheds light on the significance of the intentionality in the linguistic texts and the importance of the words particularly the verbs- used in the various linguistics studies . Additionally, the researchers identified the most well known intentionality features achieved through the use of the verbs in the Holy Quran , and the additional meaning that the word contributed to the fundamental meaning that it conveys in the view of the fact that the Quranic word has an accurate and specific suggestion which grants a special privilege to those words than others and this is the miraculous of the Holy Quran.***

**الهوامش**

(١) المفردات : ٥٤

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر : ٣/١

(٣) الموافقات فى أصول الشريعة : ٦٧/٢

(٤) التعبير القرآني : ١٠

(٥) تفسير المنار : ١٥/٢

(٦) سورة البقرة : ٣٥

(٧) ينظر: مقاييس اللغة ، مادة ( قرب ) : ٨٠/٥

(٨) لسان العرب ، مادة ( قرب ) : ٦٦٢/٢

(٩) ينظر: البحر المحيط : ١٥٨/١

(١٠) ينظر: تفسير البيضاوي : ٢٩٦/١ ، ٢٩٧ ، تفسير التحرير والتنوير : ٤٣٢/١ ، والحديث ورد في صحيح الْبُخَارِيُّ : ٢١ الحديث رقم (٥٢)

(١١) ينظر: تفسير ابن عطية : ١٨٣/١

(١٢) التفسير الكبير : ٤٥٤/٣

(١٣) سورة الاسراء : ٣٤

(١٤) سورة البقرة : ٦١

(١٥) ينظر: مقاييس اللغة ، مادة ( ضرب ) : ٣٩٧/٣

(١٦) لسان العرب ، مادة ( ضرب ) : ٥٤٣/٢

(١٧) المفردات ، مادة ( ضرب ) : ٣٨٤

(١٨) ينظر: البحر المحيط : ٢٣٥/١ ، ٢٣٦

(١٩) ينظر: المصدر نفسه : ٢٣٥/١ ، والبيت للفرزدق في ديوانه ص ٤٩٠

(٢٠) ينظر: تفسير الكشاف : ١٤٥/١

(٢١) ينظر: زهرة التفاسير : ٢٥١/١

(٢٢) ينظر: البحر المحيط : ٢٣٥/١

(٢٣) ينظر: التفسير الكبير : ٥٣٤/٣

(٢٤) ينظر: تفسير الكشاف : ١٤٦/١

(٢٥) ينظر: زهرة التفاسير : ٢٥١/١

(٢٦) ينظر: تفسير المنار : ٢٧٥/١

(٢٧) ينظر: جماليات المفردة القرآنية : ١٠٥

(٢٨) سورة البقرة : ٩٣

(٢٩) ينظر: مقاييس اللغة ، مادة ( شرب ) : ٢٦٧/٣ ، ٢٦٨

(٣٠) ينظر: لسان العرب ، مادة ( شرب ) : ٤٦/٨ ، ٤٧

(٣١) ينظر: تفسير المنار : ٣٢٠/١ ، ٣٢١

(٣٢) ينظر: زهرة التفاسير : ٣١٩/١

(٣٣) ينظر: تفسير الكشاف : ١٦٦/١ ، تفسير البيضاوي : ٩٤/١

(٣٤) ينظر: زهرة التفاسير : ٣١٩/١

(٣٥) تفسير الشعراوي : ٤٦٨/٢

(٣٦) ينظر: في ظلال القرآن : ٩١/١ ، ٩٢

(٣٧) ينظر: تفسير البغوي : ١٢٢/١ ، وتفسير المنار : ٣٢١/١

(٣٨) سورة الأعراف : ١٧٥

(٣٩) ينظر: مقاييس اللغة ، مادة ( سلخ ) : ٩٤/٣

(٤٠) ينظر: لسان العرب ، مادة ( سلخ ) : ٢٢٨/٧

(٤١) ينظر: البحر المحيط : ٤٢٣/٤

(٤٢) ينظر: روح المعاني : ١١٠/٩

(٤٣) ينظر: التحرير والتنوير : ١٧٦/١٠

(٤٤) ينظر: البحر المحيط : ٤٢٣/٤

(٤٥) ينظر: التفسير الكبير : ٤٠٤/١٥

(٤٦) ينظر: تفسير المنار : ٣٤٠/٩

(٤٧) ينظر: تفسير الأمثل : ٥٧١/٤

(٤٨) سورة هود : ٧٨

(٤٩) ينظر: مقاييس اللغة ، مادة ( هرع ) : ٤٧/٦

(٥٠) ينظر: لسان العرب ، مادة ( هرع ) : ٥٤/١٥

(٥١) ينظر: تفسير الكشاف : ٤١٣/٢ ، والبحر المحيط : ٢٤٦/٥

(٥٢) ينظر: زهرة التفاسير : ٣٧٣٥/٧

(٥٣) ينظر: الاعجاز البياني للقرآن : ٣٧٩

(٥٤) سورة يوسف : ٤٣

(٥٥) ينظر: لسان العرب ، مادة ( حسس ) : ١١٧/٤ ، ١١٨

(٥٦) ينظر: تفسير البغوي : ٢٧١/٤ ، وتفسير ابن كثير : ٤٠٦/٤ ، وفي ظلال القرآن : ٢٠٢٦/٤

(٥٧) ينظر: التحرير والتنوير : ٤٥/١٤

(٥٨) ينظر: تفسير الأمثل : ٣٥١/٦

(٥٩) سورة مريم : ٢٣

(٦٠) ينظر: لسان العرب ، مادة ( جيأ ) : ٢٤٨/٣

(٦١) ينظر: تفسير ابن كثير : ٢٢٣/٥ ، التحرير والتنوير : ٨٥/١٧ ،

(٦٢) ينظر: تفسير الكشاف : ١١/٣ ، تفسير القرطبي : ١٩/١١ ، والتحرير والتنوير : ٨٥/١٧

(٦٣) ينظر: التحرير والتنوير : ٨٥/١٧

(٦٤) الاعجاز البياني للقرآن : ٢٩٠

(٦٥) سورة طه : ٤٢

(٦٦) ينظر: مقاييس اللغة ، مادة ( وني ) : ١٤٦/٦

(٦٧) ينظر: لسان العرب ، مادة ( وني ) : ٢٨٧/١٥ ، ٢٨٨

(٦٨) ينظر: تفسير الماوردي : ٤٠٤/٣ ، تفسير الكشاف : ٦٥/٣ ، تفسير القرطبي : ١١٧/١١ ، وزاد المسير : ٢٨٧/٥

(٦٩) ينظر: تفسير الماوردي : ٤٠٤/٣ ، تفسير القرطبي : ١١٨/١١ ، البحر المحيط : ٢٤٥/٦

(٧٠) ينظر: تفسير الماوردي : ٤٠٤/٣ ، وتفسير القرطبي : ١١٨/١١

(٧١) ينظر: تفسير الماوردي : ٤٠٤/٣ ، تفسير الكشاف : ٦٥/٣ ، وتفسير القرطبي : ١١٨/١١ ، والبحر المحيط : ٢٤٥/٦

(٧٢) الاعجاز البياني للقرآن : ٢٩٨

(٧٣) سورة طه : ١١٧

(٧٤) ينظر: مقاييس اللغة ، مادة ( شقي ) : ٢٠٢/٣

(٧٥) ينظر: لسان العرب ، مادة ( شقي ) : ١١٤/٨

(٧٦) ينظر: تفسير القرطبي : ١٦٥/١١

(٧٧) ينظر: تفسير ابن عطية : ١٣٨/٦ ، والتفسير الكبير : ١٠٦/٢٢ ، تفسير القرطبي : ١٦٥/١١ ، وتفسير البيضاوي : ٤٠/٤ ، والبحر المحيط : ٢٨٤/٦ ، وروح المعاني : ٢٧١/١٦ ، وزهرة التفاسير : ٤٧٩٩/٩

(٧٨) تفسير الأمثل : ٢٠٧/٨

(٧٩) البحر المحيط : ٢٨٤/٦

(٨٠) ينظر: تفسير ابن عطية : ١٣٨/٦ ، والتفسير الكبير : ١٠٦/٢٢ ، والبحر المحيط : ٢٨٤/٦

(٨١) ينظر: سورة الحاقة : ١١

(٨٢) ينظر: مقاييس اللغة ، مادة ( طغى ) : ٤١٢/٣

(٨٢) ينظر: لسان العرب ، مادة ( طغى ) : ١٢٣/٩

(٨٣) ينظر: التبيان للطوسي : ٩٧/١٠ ، وتفسير البغوي : ٢٠٨/٨ ، ٢٠٩ ، والتفسير الكبير : ٦٢٣/٣٠

(٨٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : ٣٥٠/٢٠

(٨٥) ينظر: التحرير والتنوير : ١٢٣/٣٠

(٨٦) ينظر: جماليات المفردة القرآنية : ١٤٣

## المصادر


i. **القرآن الكريم**

ii. **الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق** : عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ (ت١٤١٩هـ) ، دار المعارف ، مصر ، الطبعة الثالثة ، د.ت .

iii. **الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل** : الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، الناشر : مدرسة الإمام علي (ع) ، قم – إيران ، ١٤٢٦هـ .

iv. **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** : ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت٦٨٥هـ) ، تحقيق : محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ.

v. **البحر المحيط في التفسير** : أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت٧٤٥هـ) ، ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت .

vi. **التبيان في تفسير القرآن** : أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، قدم له : الشيخ آغا بزرك الطهراني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت .

vii. **التعبير القرآني** : د. فاضل صالح السامرائي ، دار عمار ، عمان ، الطبعة الرابعة ، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٧م .

viii. **تفسير التحرير والتنوير** : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت١٣٩٣هـ) ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٨٤م .

ix. **تفسير الشعراوي – الخواطر** : محمد متولي الشعراوي (ت١٤١٨هـ) ، مطابع أخبار اليوم ، القاهرة ، ١٩٩٧م .

x. **تفسير القرآن العظيم** : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت٧٧٤هـ) ، تحقيق : سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م .

xi. **تفسير المنار** : محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت١٣٥٤هـ) ، الهيأة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٠م.

xii. **الجامع لأحكام القرآن ( تفسير القرطبي )** : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت٦٧١هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٣م .

xiii. **جماليات المفردة القرآنية** : أحمد ياسوف ، إشراف وتقديم : د. نور الدين عتر ، دار المكتبي – دمشق ، الطبعة: الثانية ، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م .

xiv. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** : شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت١٢٧٠هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت .

xv. **زاد المسير في علم التفسير** : جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ) ، تحقيق : محمد زهير الشاويش ، شعيب الأناؤوط ، عبد القادر الأرناؤوط ، المكتب الاسلامي ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م .

xvi. **زهرة التفاسير** : محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت١٣٩٤هـ) ، دار الفكر العربي ، د.ت .

xvii. **صحيح البخاري ، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه** : محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (ت٢٥٦هـ) ، تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر ، الناشر : طوق النجاة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ .

xviii. **في ظلال القرآن** : سيد قطب ، دار الشروق للنشر ، القاهرة ، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م .

xix. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** : أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد ، الزمخشري جار الله (ت٥٣٨هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧هـ .

xx. **لسان العرب** : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، ابن منظور الأفريقي المصري (ت٧١١ هـ( ، تحقيق : أمين محمد عبد الوهاب ، ومحمد صادق العبيدي ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة السابعة ، بيروت – لبنان ، ٢٠١١م .

xxi. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** : أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت٥٤٢هـ) ، تحقيق

: الرحالة الفاروق ، عبد الله بن إبراهيم الأنصاري ، السيد عبد العال السيد إبراهيم ، محمد الشافعي الصادق العناني ، طبعة وزارة الأوقاف القطرية ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م .

xxii. **معالم التنزيل في تفسير القرآن ( تفسير البغوي )** : أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٠هـ) ، تحقيق : حقّقه وخرّج أحاديثه : محمد عبد الله النمر ، وعثمان جمعة ضميرية ، وسليمان مسلم الحرش ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

xxiii. **مفاتيح الغيب ( التفسير الكبير )** : أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت الطبعة الثالثة ، ١٤٢٠هـ .

xxiv. **المفردات في غريب القرآن** : أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت٥٠٢هـ) تحقيق : صفوان عدنان الداودي ، دار القلم ، الدار الشامية – دمشق بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ .

xxv. **مقاييس اللغة** : أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ) ، وضع حواشيه : إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

xxvi. **الموافقات في أصول الشريعة** : إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت٧٩٠هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩١م .

xxvii. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** : برهان الدين البقاعي (ت٨٨٥هـ) ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤ م .

xxviii. **النكت والعيون ( تفسير الماوردي )** : أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي (ت٤٥٠هـ) تحقيق : السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت .

xxix. **النهاية في غريب الحديث والأثر** : مجد الدين ابن الاثير المبارك بن محمد الشيباني الجزري أبو السعادات (ت٦٠٦هـ) ، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .